مقياس أدب شعبي مغاربي

المحاضرة الرابعة

أشكال التعبير في الادب الشعبي المغاربي

إن الدارس لأشكال التعبير الشعبي المغاربي عامة و الجزائري خاصة يجدها متعددة و متنوعة بالإضافة إلى تشابهها مع تراث الامم الاخرى سواء كان ذلك من ناحية البناء أو الموضوعات وذلك راجع للاحتكاك و الاختلاط و هو ما أحدث تعددا في أشكال التعبير الشعبي نذكر منها ما يلي :

1/ الحكايات العجيبة :و تمثل أحد أشكال التعبير الاكثر بروزا في الثقافة الموروثة لبلاد المغرب العربي ، و قد أشارت مختلف الدراسات النياسية ( الأثنوغرافية ) و الإناسية ( الأنثربولوجية ) و السوسيوثقافية منذ ابن خلدون إلى ثراء المادة الخرافية و العجيبة التي يتداولها أفراد الجماعات الناطقة باللهجات الأمازيغية و التي تحولت إلى التعبير باللهجات العربية بعد ظاهرة التعريب التدريجي للسكان وحدث تهجين لهذا الصنف في العهد العربي لما انصهرت عناصره في القصص الملحمي ذي الأصول الهلالية .

2/ المغازي : تمثل المغازي شكلا أدبيا شعبيا عرف رواجا منذ منذ الاحتلال الفرنسي لبلدان المغرب ، و ظهر مع المداحين الذين كانوا يخرجون إلى الاسواق و ينتقلون بين المناطق السكانية في المغرب العربي . و يمثل هذا الشكل التعبيري أدبا ملحميا استمد عناصره من الثقافة العربية الاسلامية .

3/ قصص بني هلال : و يمثل هذا الشكل التعبيري القصصي الملحمي ذي الطبيعة البدوية بقايا سيرة بني هلال و هو منتشر في ليبيا و تونس و الجزائر مع اختلاف رواياته و أبطاله تبعا للمناطق المختلفة ، عرف تطورا في بنيته الشكلية عندما امتزج بالحكاية العجيبة و قصص كرامات الأولياء الصالحين .

4/ شعر الحكمة المنسوب للشيخ عبد الرحمان المجذوب : و هو عبارة عن شعر منظوم في شكل رباعيات في مختلف بلدان المغرب العربي و هو ما أثار إشكالا و لبسا حول شخصية هذا الشاعر الجوال الذي تنسب له هذه الأشعار ففي كل منطقة تجد الناس يحفظون له أشعارا بلهجتهم سواء في المغرب أو تونس أو ليبيا أو الجزائر . و قد نشرت مجموعات شعرية في الجزائر يظهر فيها طابع اللهجة الجزائرية واضحا رغم أن سيرة الشاعر تذكر أنه عاش بالمغرب الاقصى

5/ الألغاز و الامثال : و قد قسم الدارسون الأمثال و كذلك الالغاز إلى ألغاز عربية تعود إلى العصر الجاهلي و أخرى إلى العصر الاسلامي تبعا لمعطيات الجغرافيا و الثقافة و الدين . و هو ما يمكن قوله على المثل أيضا . فمثلا نجد عدة ألغاز و أمثال مصدرها الادب الجاهلي مثل ما جاء في لغز الميزان :

قاعد و مريح و الخير يجيه

لكلام ما يتكلم و الحق يعطيه

و معناه مستمد مما ورد في الأثر عن امرئ القيس لعبيد بن الابرص قائلا :

ما الحاكمون بلا سمع و لا بصر ... و لا لسان فصيح يعجب الناس

فردّ عبيد قائلا :

هي الموازين و الرحمان أنزلـــها ... رب البرية بين الناس مقياس

و من الألغاز التي تؤكد حضور الدين الاسلامي و بقوة ما يرتبط بالأنبياء من مثل ( ثلاثة بلا والدين واحد عاصي وزوج تايبين ) و يقصد بهم ( إبليس _ أدم _ حواء ) . و هناك الغاز ترتبط بالشعائر الدينية كقولهم في الكعبة المشرفة ( كحلا يا محلاها و اللي يشوفها يتمناها ) و قولهم في تحية الاسلام ( تبدا بالسين و السين شرعية نصها عليك و نصها عليا ).

و الملاحظ أنه رغم اختلاف اللهجات إلا أن نصوص الالغاز و الامثال بقيت واحدة ، و هناك من يرد هذا التشابه إلى كون مصدرها الحقيقي هو الشعب استمدها من الواقع .

كما نجد ألغازا تعود للسيرة الهلالية التي تروى في الجزائر مثل الاسئلة التي طرحها ذياب بن غانم الهلالي على زوجته ( واش هوما ستة لي يغلبو ستة ) و الحل ( النار يغلبها الما و الما تغلبو العقبة و العقبة تغلبها الخيل و الخيل يغلبوها الرجال و الرجال يغلبوهم نساهم و النسا يغلبوهم أولادهم )

كما نجد تشابها كبيرا بين الالغاز الشعبية الجزائرية و ما ذكر في الجزيرة العربية و مصر و الشلم و باقي الدول العربية في المشرق و المغرب ومثال ذلك ما يروى في دولة الكويت في لغز البيضة و الدجاجة : حي جاب ميت ، و ميت جاب حي وهو ما نجده تقريبا بنفس اللهجة في الجزائر . أما لغز السجارة الذي يروى في تونس :

صاحبي العزيز عليا هونته ما يهون

و ين يضيق الحال عليا نحشي راسه في الكانون

نجده في الجزائر يروى :

صاحبي العزيز عليا حبو شاغل في المكنون

منين يضيق الحال عليا نذير راسه في الكانون .

و الملاحظ على هذه الامثلة هو التشابه و التطابق الذي لم يأت عبثا و انما كان امتدادا طبيعيا لآداب هذه الأمة و فنونها الموروثة عن الاسلاف . فهذه الشعوب تشترك في تاريخها و حضارتها و ثقافتها و مجالها الجغرافي و الطبيعي و هو ما يثبت أن هذه الاشكال التعبيرية حافظت على الهوية العربية .